"التغيير" تواصل نشر ملخص كتاب عن ابن سلمان والسلطة (5)

التغيير

تستكمل "التغيير"، نشر مقتطفات صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية، لأهم ما جاء في كتاب "إم بي إس: صعود محمد بن سلمان إلى السلطة"، الذي ألفه بن هوبارد مدير مكتب الصحيفة في بيروت، ونشره قبل أسابيع.

وأثار الكتاب ضجة كبيرة عند نشره، نظرا لأهمية الكتاب، ولاحتوائه على معلومات مثيرة عن صعود محمد بن سلمان من الظل إلى السلطة.

وفي ما يأتي الحلقة الخامسة من هذه المقتطفات:

كأمير، نشأ محمد بن سلمان مغموساً في امتيازات موروثة لم يكسب أياً منها بجهده الشخصي، يعيش في القصور ويتنقل في مواكب، ويعامل بدلال من قبل المربيات والمعلمين والخدم.

لا يناديه باسمه إلا الأصدقاء المقربون وأفراد العائلة، أما بالنسبة لغيرهم فلا يخاطب إلا بعبارة "طال عمرك" أو "صاحب السمو الملكي". ولكن إذا كان والده يحتل مرتبة دنيا في الترتيب الملكي على العرش فقد كانت مرتبة محمد بن سلمان أدنى من ذلك بكثير، فهو الابن السادس للابن الخامس والعشرين من أبناء الملك المؤسس، ولم يكن يوجد من الأسباب ما يدعو للظن أنه يمكن أن يرتقي إلى أعلى السلم، وذلك كان انطباع معظم الناس عنه طوال الجزء الأكبر من حياته.

وكان محمد بن سلمان قد قال فيما بعد إن والده أشرف بنفسه على تعليمه وتعليم أشقائه، وأنه كان يسلم كل واحد منهم كتاباً كل أسبوع ثم يمتحنهم فيه. أما والدته فكانت تأتي إليهم بمفكرين ليفتحوا معهم حوارات وكانت ترسل أطفالها في رحلات علمية ميدانية. كان الوالدان كلاهما صارمين، لدرجة أن وصوله متأخراً للغداء مع والده كان "بمثابة كارثة". وأمه كانت حازمة وشديدة أيضاً.

وفي حديث مع صحفيين من موقع بلومبيرغ، قال محمد بن سلمان: "كنت وأشقائي نفكر ونتساءل لماذا تعاملنا أمنا بهذا الشكل؟ فلم تكن تتغاضى عن أي أخطاء نرتكبها".

ثم خلص فيما بعد إلى أن تلك المتابعة الدقيقة والحازمة هي التي جعلته أقوى.

من النادر أن يتحدث محمد بن سلمان عن سنين شبابه في العلن، كما لم يتحدث عن ذلك من كانوا يعرفونه في تلك الفترة. ولذلك يصعب رسم صورة مفصلة للفترة المبكرة من حياته. ويزيد من صعوبة ذلك ما حازه من نفوذ بعد ذلك، فلم يعد أحد يجرؤ أن يقول عنه في العلن سوى ما يفهم منه الإشادة، وأما ما هو مخجل أو فاضح فقد واراه الثرى. ولكن من أجل إدراك خلفيته ومعرفة مراحل حياته الأولى فقد قضيت السنوات القليلة الماضية وأنا أتعقب السعوديين وغيرهم ممن عرفوه أو صادفوه في شبابه. ومعظم هؤلاء مازالوا يعيشون هم أو أقارب لهم داخل المملكة أو لهم فيها مصالح وأعمال فمن تحدث منهم اشترط عدم الكشف عن هويته لضمان حمايته.

عاش سلمان مع زوجته الأولى بالقرب من الديوان الملكي في قصر واجهته مشيدة من أعمدة بيضاء، حتى أن الناس كانوا يسمونه من باب النكتة "البيت الأبيض". وكانت والدة محمد بن سلمان وأطفالها يعيشون في مكان آخر، وإن كانت تطمح لهم بما لا يمكن تحقيقه إلا من خلال والدهم، ولذلك كثيراً ما كانت ترسلهم لتناول الغداء في "البيت الأبيض" حتى يتسنى لهم القرب منه. إلا أن محمد بن سلمان وأشقاءه لم يكونوا موضع ترحيب من قبل سلطانة، التي كانت تزدري أبناء الزوجة الثانية بسبب خلفيتهم القبلية (وربما أيضاً غيرة منها تجاه أمهم الأصغر منها سناً والأفضل منها صحة). ولم تكن تخفي ازدراءها، الأمر الذي

كان ينعكس على تصرفات أولادها، إذ يسخرون من محمد بن سلمان بينما يتفاخرون بما هم فيه من عيشة مرفهة وبما يقومون به من أعمال وما يحصلون عليه من مؤهلات من جامعات أجنبية يدونونها في سيرهم الذاتية.

كان مسار حياة محمد بن سلمان مختلفاً تماماً – فقد كان المسار محلياً إلى حد كبير وسعودياً بشكل أساسي. ولكنه كان في سن المراهقة معظم الوقت ضائعاً وسط الحشد الملكي، وكان واضحاً عدم إحاطته بكثير من السبل للارتقاء بوضعه. إلا أن سرعان ما تغير ذلك بفضل وفاتين وقعتا داخل العائلة.

في عام 2001 توفي فجأة عن ستة وأربعين عاماً فهد، الابن الأكبر لسلمان، والذي كان يساعد الصحفيين أثناء حرب الخليج. ثم في العام التالي توفي شقيقه أحمد، الذي فاز بسباق كينتاكي داربي، عن أربعة وأربعين عاماً. كان سبب الوفاة المعلن في الحالتين السكتة القلبية، ولكن الأسباب الحقيقية لم يفصح عنها بتاتاً.

هذا الموت المفاجئ والمبكر لاثنين من أبنائه أدخل سلمان في حالة من الحزن الشديد. وبينما كان أبناؤه الكبار مشغولين في متابعة أعمالهم وفي رعاية عائلاتهم، بقي محمد بن سلمان – وهو آنذاك في السادسة عشرة من عمره – قريباً من والده في ساعة ألمه وحزنه مما وثق الرابطة بينهما وعمقها. كانت والدة محمد بن سلمان لا تكف عن الإلحاح على سلمان بأن يقضي وقتاً أطول مع محمد بن سلمان، وكان الأمير الشاب كثيراً ما يلازم أباه كظله وهو يدير شؤون عاصمة آل سعود من موقعه كأمير للرياض. وكانت تلك تجربة تعليمية غامرة في شؤون المملكة، إذ كان محمد بن سلمان يرى من يأتي ويذهب، ويتعرف على أصحاب الشأن في كل واحدة من القبائل، وعلى رجال الدين ومواقعهم، وعلى رجال الأعمال ومواضع نفوذهم في الحياة الاقتصادية، وعلى الأمراء ومن منهم توصل إلى طرق إبداعية في نهب الدولة.

يذكر أحد أعضاء حاشية العائلة في ذلك الوقت أن حياة محمد بن سلمان الاجتماعية كانت تتركز حول استخدام الامتيازات الملكية لإقامة العلاقات وتوطيدها مع الناس. كانت عائلته تذهب في الصيف لتعسكر على ساحل البحر الأحمر وكان محمد بن سلمان يرسل أسطولاً من دراجات التزلج المائي للشباب. أما في الشتاء فكانوا يعسكرون في الصحراء حيث يقيم محمد بن سلمان أكبر مخيم يقدم فيه لحم الغنم المشوي المصفوف على أطباق بيضاوية ضخمة مملوءة بالأرز، وكان بحوزته أسطول من العربات للبدو الذين يأتون للسلام على الأمراء. كان عالم محمد بن سلمان هو مملكة آبائه، ويبدو أنه كان يحبها بقدر ما كان أبناء عمه يحبون لندن أو جنيف أو موناكو. وكان والده يقدر له ولعه بالمملكة، ومع الزمن توطدت الآصرة بينهما أكثر فأكثر، وصار محمد بن سلمان يرافق والده في الأعراس والجنائز ويصلي قريباً منه

داخل المسجد.

وأخيراً انتقلت والدة محمد بن سلمان وأطفالها إلى قصر خاص بهم، وكان سلمان في بعض مواسم الصيف يقضي إجازته مع زوجته الأولى وأطفالها في قصر شيده شقيقه الملك الراحل فهد في ماربيا، وأثناء ذلك يقوم بزيارة خاطفة إلى برشلونة ليقضي بعض الوقت مع عائلة زوجته الثانية. لاحقاً صارت والدة محمد بن سلمان تنزل في جناح داخل فندق أوتيل بلازا أتينيه في باريس، حيث لا يروق لها الطعام الفرنسي فاستبدلته بطعام سعودي كان يعده لها طهاة جاءت بهم معها من البلد.

منذ أن كان في سن المراهقة اكتسب محمد بن سلمان سمعة بأنه كان يسيء التصرف. يقول من عرفه من أفراد العائلة الملكية وغيرهم إنه كان يبدو محبطاً وساخطاً، وكان في بعض الأوقات ينفجر في نوبات من الغضب. على الأقل في مرة من المرات لبس زي ضابط شرطة وذهب إلى مركز للتسوق في الرياض ليستعرض. لم يتمكن ضباط الشرطة الحقيقيون من فعل شيء إزاء ذلك لمعرفتهم بأنه ابن أمير الرياض.

وبسبب مرافقة محمد بن سلمان لوالده فقد استغرق تماماً في شؤون البلد ولكنه في نفس الوقت كان ابن القرن الحادي والعشرين.

ومثله في ذلك مثل كثير من السعوديين من أبناء جيله، تشكل إحساسه بالعالم من خلال أفلام هوليوود، ومن خلال الرسوم المتحركة الأمريكية واليابانية، ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي. يروي أصدقاؤه القدامى أنه كان في بعض الأوقات ينسى نفسه في ألعاب الفيديو وكان أول من أدمن على فيسبوك من ضمن دائرة رفاقه.

كان محمد بن سلمان في السادسة عشرة من عمره عندما أرسل أسامة بن لادن الخاطفين ليهاجموا الولايات المتحدة يوم الحادي عشر من سبتمبر / أيلول من عام 2001. بعد ذلك بسنوات، أخبر وفداً من الأمريكيين بأن والدته نادت عليه حتى يشاهد الأخبار وأنه وصل إلى التلفزيون في الوقت المناسب ليرى الطائرة الثانية وهي ترتطم بالبرج الجنوبي من مركز التجارة العالمي. ورغم أن محمد بن سلمان لم يرغب في أن يُنقل عنه بشكل مباشر ما تحدث به أثناء اللقاء، إلا أن رئيس الوفد جويل سي روزنبيرغ أخبرني بأن الانطباع الذي تشكل لديه خلاصته أن محمد بن سلمان انتابه شعور بالرعب خشية أن يتجه العالم نحو كره الإسلام بسبب تلك الهجمات وأنه سيكون من الصعب على السعوديين الشعور بالراحة في الخارج.

ولربما أثر ذلك الشعور على الأسلوب الذي اتبعه في الحكم فيما بعد.

قال لي روزنبيرغ: "أظن أنه نما ولسان حاله يقول لا أريد أن أعيش في بلد ينظر إليه العالم بهذا الشكل، وأنظر أنا إليه بهذا الشكل، ولسوف أطارد وأقبض على كل من تسول له نفسه شيئاً كهذا أو يؤدي بنا إلى أن يعتبرنا الناس بلداً متخلفاً مجنونا".

وبدلاً من أن يذهب إلى الخارج ليدرس في جامعة هناك، بقي محمد بن سلمان في الرياض ودرس القانون في جامعة الملك سعود. يقول أحد رفاقه في الدراسة إنه بدا حتى في ذلك الوقت راغباً بأن يصبح زعيماً، فتجده يتصدر لإدارة الحوار بين الأصدقاء. وذات مرة أخبر مجموعة من أصدقائه بأنه يريد أن يكون الإسكندر العظيم التالي. وكان أمير آخر من نفس جيله يراه في عشاء أسبوعي كان ينظمه عمه الأمير سلطان لأبناء أشقائه.

يقول الأمير متذكراً تلك الأيام: "كان دائماً يتكلم عن الحكومة وكيف أنه كان يرغب في الدخول فيها وما الأشياء التي كان سيغيرها، وكنت أظنه يتحدث في هذه القضايا فقط لأنه ابن حاكم الرياض. كان باستمرار يريد أن يكون هو المتحدث، كان باستمرار يرغب في التصدر."

وكان من المعجبين بمارغريت ثاتشر.

يقول الأمير: "كان دائماً يستمتع بالحديث عن المرأة الحديدية وكيف أنها عززت النظام الاقتصادي لبريطانيا العظمى".

إلا أن محمد بن سلمان ظل بعيداً عن مرأى ومسمع الدبلوماسيين والخبراء الأجانب الذين درسوا الحركيات الملكية سعياً منهم لاستشراف من عساه يصل إلى السلطة في المستقبل. في عام 2007، زار السفير الأمريكي لدى مملكة آل سعود سلمان الذي طلب المساعدة في الحصول على تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة لأفراد عائلته، حيث كانت زوجته الأولى تواجه صعوبة في السفر لرؤية طبيبها، وعلى الرغم من أن أبناء سلمان الآخرين مضوا قدماً وتحملوا عناء الإجراءات الصارمة وقدموا طلبات الحصول على التأشيرة، إلا أن محمد بن سلمان "رفض الذهاب إلى السفارة الأمريكية والسماح لهم بأخذ بصماته كما لو كان مجرما".

تخرج محمد بن سلمان من الجامعة في عام 2007 وكان الرابع على دفعته. قضى بعدها عامين موظفاً في مكتب الخبراء، وهو عبارة عن مركز أبحاث تابع لمجلس الوزراء السعودي. كان من المفروض أن يحصل على ترقية بعد عامين إلا أن الملك عبد ا منعها عنه، فعاد إلى العمل مع والده. تزوج من ابنة عمه، وهي

أميرة صغيرة القوام اسمها سارة بنت مشهور، واحتفل بزفافه عليها في قاعة فاخرة في مدينة الرياض.